



قلبي حزين على وطني الجريح

سمعت السوريين يغنون: "سوريا يا حبيبتي" وقبل أن يكملوا المقطع الأول، ردّت عليهم سوريا بصوت خافت حزين

"روحو حبو بعضكم، بعدين تعو حبوني..."

فشعرت بدموع ساخنة تنهمر حزينة من عيني لما فعلنا ونفعل كلنا تجاه امانا الحبيبة سوريا، متناسين اننا مسؤولون امام رب العالمين، يوم نقف بين يديه، عن دموع اليتامى على معيهم، وعن أحزان الأرامل على شريك العمر، وعن حرقة قلوب شيوخنا على عزّ عاشوه، وعلى غصة في صدور شعبٍ عشق تراب وطنٍ، يفديه "حماة الديار" بدمائهم الزكية وبعض الخونة يطلبون من الغرب تدميره ويصرخون ب وقاحة : سوريا يا حبيبتي... لذا قلبي حزين على وطني الجريح...

لنعودنّ الى ضميرنا كي نشاهد ما فعلت ايادينا من خراب لمدن زاهرة وقرى عامرة، كانت دوما رمز عزّ سوريا، وموطن الامان والاستقرار ومقصد الكرامة والفخار. كيف لنا ان نظلّم أمانا سوريا التي نشأنا في أحضانها، وسهرت على تربيتنا. لماذا كل هذه الغلاظة في قلوبنا تجاه أبناء عشيرتنا السورية... يقال أن سوريا تدمر لأنها تأوي المسيحي والسني والعلوي والشيعي والدرزي والإسماعيلي والكردي والتركماني تحت سقف واحد... لذا قلبي حزين على وطني الجريح ...

بالعودة إلى ما سبق من أحداث، نتذكّر أن طالب السوريون بالحرية والديموقراطية والاصلاح... وكان على القائمين على مقدرات سوريا ان يتجاوبوا مع المطالب المحقّة، وأن يقوموا بتحقيقها... وباشروا بالاصلاح قولاً وفعلاً لكنّ المطالبين بالاصلاح والحرية والديموقراطية غابوا فجأة عن الشاشة وخلفوا وراءهم أحفاداً لا سلميين... فعرضت السلطات الشرعية على الجميع الجلوس الى طاولة الحوار لتحقيق المطالب الواقعية وصولاً الى حل مرض للجميع... وترافق رفض الجلوس الى طاولة الحوار مع ظهور سلاح غير شرعي مع مطالب تعجيزية... لذا قلبي حزين على وطني الجريح ...

وتجاوباً مع تمنيات "أصدقاء سوريا" قطعت الدول الشقيقة وغير الشقيقة علاقتها مع سوريا والبعض نأى بنفسه عنها، وتمّ فصل سوريا، قلب العروبة النابض، كما كان يسميها الرئيس جمال عبد الناصر، والغاء (ليس إيقاف) عضويتها من الجامعة العربية ومنعت من بث برامجها على نايل سات وأراب سات خوفاً من إزعاج مسامع الجزيرة العربية وأخواتها... والعديد من الرعيل القديم يذكر أن إذاعة دمشق صرخت : "هنا القاهرة من دمشق" حين قصفت طائرات الحلف الثلاثي محطة "صوت العرب من القاهرة" وأوقف الإرسال.. لذا قلبي حزين على وطني الجريح...

وب عون القوى الظلامية انتشر السلاح في أياد غير شرعية، وب دعم بترودولار الجاهلية الجديدة والمحافظين الجدد اصبح من يفجر نفسه ويقتل الأبرياء شهيدا تنقله ملائكة الرحمن الى ديار الحوريات والغلمان، كما لقّنه سفهاء أمة أبي جهل ابن الحنظلية... ومن يدمر دور العبادة والمؤسسات الرسمية والمباني الحكومية، وهي املاك الشعب السوري، فهو بطل يشار اليه بالبنان... والذبح والاختلال والخطف والاحتياط والتهديد والتفجير والقصف العشوائي، فهي اعمال غرباء ماجورين يسعون لدمار سوريا، ولا يشفع لهم لا اجتهاد ولا فتوى... لذا قلبي حزين على وطني الجريح...

لقد حالت سوريا دون تسكّع شعبيها على أبواب الغرب، وعاش معزّزاً مكرماً على أرضه إلى أن جاء من كل أصقاع الأرض وحرمه من دفاء بيته ومن وحدة وطنه... سوريا لن تنسى سوء أعمال الذين ساهمنا في بناء مساكنهم و تثقيفهم والدفاع عنهم يوم احتلال ارضهم أو حين واجهوا مخاطر دمار قصورهم، سوريا لن تنسى كيف يُعامل ابناؤها من قبل الذين مؤلوا تشردّهم في صحاري الأردن وجبال العثمانيين وجرود عرسال... سوريا لن تنسى من يقبل أن يتاجر مشايخ العربان بحرائر سوريا وفتياتها لقاء حفنة من الدولار المشبع برائحة النفط... لذا قلبي حزين على وطني الجريح...

كلنا نصبو الى الحرية والديموقراطية والاصلاح. وعلى السلطات الشرعية ان تتجاوب مع المطالب المحقة، والأسلوب الأمثل لتحقيقها هو الجلوس الى طاولة الحوار للوصول الى حل مرض للجميع. أما تراشق الاتهامات وتدمير المؤسسات، فهي اعمال مرفوضة... وها هو مؤتمر جنيف 2 على الأبواب، إذا كنتم حقاً طلاب حرية وديموقراطية واصلاح، تعالوا نتحاور لبناء سوريا الجديدة اجمل وأقوى من ذي قبل ونرفع الصوت عالياً ونقول : سوريا يا حبيبتى، أعدت لي كرامتي !

كيف ننسى أو نتناسى أن :

- تدمير سوريا، يعني تدمير ستة الاف سنة من تاريخ البشرية ومن الحضارة العالمية...
- تدمير سوريا، يعني دفن رسالة البشارة الصالحة، رسالة المحبة والتعايش والسلام التي حملها بولس الرسول الى الغرب، بعد ان تعلمها على يد حنانيا، كبير النصارى في دمشق.
- تدمير سوريا، يعني نسيان كنيسة القيامة وكنيسة المهد والمسجد الاقصى ثالث الحرمين الشريفين وأولى القبلتين، كما يعني التجاهل الأبدي لضياح بيت المقدس وبيت لحم والناصرة.
- تدمير سوريا، يعني التعامي على ما فعله اجدادنا الامويون، حين نقلوا من عاصمتنا دمشق الى البلدان الغربية عبر الاندلس، العلوم الانسانية المتوفرة في تلك الحقبة من التاريخ.
- تدمير سوريا، يعني تدمير المدرسة المعروفة بمدرسة الوسطية والاعتدال الديني بامتياز، فالمسيحيون والمسلمون متعايشون بمحبة واحترام متبادل، وفق تعاليم الكتب السماوية، و منذ غابر الايام.
- تدمير سوريا، يعني تدمير مسجد بني أمية الكبير ومزار النبي يحيى، رمز التلاحم الديني الاسلامي المسيحي، حيث رقع وخشع البابا يوحنا بولس الثاني، يوم زيارته المباركة ل سوريا سنة 2002 .
- تدمير سوريا، يعني تدمير دمشق عاصمتها السياسية، وتدمير انطاكيا عاصمتها الدينية، وتدمير القدس الشريف عاصمة الديانات السماوية، كما تعني تدمير المراكز البطريركية الرئيسية في العالم.
- تدمير انطاكيا عاصمة سوريا، الدينية يعني تدمير الكرسي الباباوي الاول لشمعون بطرس، خليفة المسيح قبل أن تصبح روما مركز البابوية، حيث استقر شمعون بطرس الرسول وعاش واستشهد.
- تدمير انطاكيا، يعني القول الصريح للاورثودوكسية العالمية، ان العاصمة التي تجلّون وتنتمون اليها قد ضحينا بها، على هيكل المصالح الخاصة والانانية، متناسين انها جزء من سوريا ومن تراثها.

رحمة ب سوريا وب شعب سوريا وب أمننا سوريا... توقفوا عن تدمير سوريا...

لأن تدمير سوريا يعني مخالفة ما اوصانا به الرسول الكريم ومحاربة ما كان يؤمن به حين اعلن قانلا :

" لا تزال ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها على بلاد الشام..."

والمسيح عيسى بن مريم، ألم يبدأ رسالة المحبة والسلام انطلاقاً من سوريا حسب انجيل متى الرسول؟

إن الأمة العربية تشاهد ضياح تراب فلسطين واياها مكبلة بسلاسل الاتفاقيات والمعاهدات التي تخضع لها خوفاً على عروشها. بناء المستوطنات مستمر بسرعة الضوء، قضم الأراضي لا يتوقف واقتلاع أبناء الأرض من أرض أجدادهم يسير بخطى حثيثة... لكن الجامعة العربية لم تقصّر أبداً فقد استنكرت ونددت بشدة وحزم وقدمت الشكوى تلو الأخرى للأمم المتحدة التي أرسلت البعثات لتقصي حقائق ما حصل وتقديم واجب التعازي للمتضررين والدموع ملء عيونها !...

لقد قرأت ما كتب الشيخ أحمد معاذ الخطيب بتاريخ 3.1.2007 تحت عنوان "حاشا للحسين ان يشرب الدماء" وقد نشر المقال مؤخراً موقع عربي برس... فرأيت أن اقدم بعضاً منه، فهو شبيه الى حد بعيد، بما نعاني منه اليوم... قال :

" لا يستطيع احد ان يدعي احتكار الحق ولا يوجد احد إلا له وعليه... هل سنبقى نتذبح إلى يوم الدين؟... وهل من المقبول شرعاً والمفهوم عقلاً أن يبقى حزبان سياسيان يتناحران إلى يوم الدين والأمة تحقق تحت أقدامهما؟... واعتقد أن السنة والشيعية يمكن أن يعيشوا بألفة وسلام ، بل فرض عليهم أن يفعلوا ذلك قبل أن يلتهمهم جميعاً لا المشروع الأميركي الهادف إلى الهيمنة والوصاية بل المشروع الاسرائيلي الهادف إلى الطحن والتفتيت ... وكل من يدمر مسجداً للسنة أو حسينية للشيعية وكل من يقتل إنساناً مهما كان دينه واعتقاده من أهل العراق فهو جندي لجيش صهيوني وفكر التوراة الزاحف إلى الرافدين... العصبية القومية هي التي تجمع الناس.

يقول الشيخ عبد الرحمن الكواكبي: «دعونا ندير حياتنا الدنيا، ونجعل الأديان تحكم في الأخرى فقط. دعونا نجتمع على كلماتٍ سواء، ألا وهي :
فلتحى الأمة، فليحي الوطن، فلنحي طلقاء أعزاء». أسقطوا ثقافة التفتيت، أسقطوا ثقافة التجزئة، أسقطوا سايكس-بيكو...»

وكاتب الاسطر يضيف راجيا مستعظفا :

- لا تقتلوا سوريا يا اهل سوريا، فهي ليست تلك الفتاة اللعوب التي نخجل منها او من اعمالها...
- لا تقتلوا سوريا يا اهل سوريا، فهي سيدة محترمة تحمل على كتفيها ستة الاف سنة من التاريخ...
- لا تقتلوا سوريا يا اهل سوريا، فهي الام الحنون التي بنت مدرسة الاعتدال والتعايش والمحبة...
- لا تقتلوا سوريا يا اهل سوريا، وتهجروا شعبها الأبي وتجعلوا منه لاجئا محتقرا مرفوضا ...
- لا تقتلوا سوريا يا اهل سوريا، كي لا ننسى ان الوطنية والعروبة والكرامة ابصرت النور في سوريا...
- لا تقتلوا سوريا يا اهل سوريا، فهي الأيقونة الثمينة والعطية الكريمة من رب العالمين لشعب سوريا...

قرأت قبل فترة، على موقع اخبار النبك الأنشودة الرائعة التالية وأعيد نشرها لشدة اعجابي بها... آسف لجهلي اسم كاتبها :

...لم اهتف منحك .. ولم أنادي الشعب يريد... انا فقط سوري .. و وطني هو همي الوحيد...
انا فقط اتمنى ان ارى وطني ... يحيا من جديد... انا لا اريد لبلدي الدمار ... لا ان نحيا كالعبيد...

ما عدت اطيق ان ارى كل يوم ... سورياً يسقط على يدي سوري جريحا او شهيد ...
...يا ربي مالنا سواك ... ازح الهم عن بلدي... فما عدنا قادرين على تحمل المزيد...
يا ربي مضى عام و نصف لم يكن فيه طعم للعيد ... فلا فطر و لا أضحى و لا حتى ميلاد مجيد
فأنا اريد و أنت تريد ... والله يفعل ما يريد...

رحمة ب أمننا سوريا وبشعب سوريا...

يكفيننا دمارا لما بنيناه من مساجد وكنائس ومؤسسات... يكفيننا ارامل و ايتام وشيوخ بلا معيل ... يكفيننا معاقين ومعوزين...

بالله عليكم توقفوا عن الاقتتال والتدمير والتكفير رحمة باطفالكم وبوالديكم ...

بالله عليكم توقفوا عن الاقتتال رحمة بدموع المهجرين والمبغضين عن ارض الوطن كي يتمكنوا من العودة الى الديار والى
العشيرة لانهم يتألمون لبعادهم عن البلاد التي يعشقون ترابها، ويتألمون لما حل بها من قتل وخطف ودمار وهجرة...

تعالوا يا أبناء سوريا امنا، تعالوا جميعا نرفع الصلاة الربية الى من على العرش استوى، تعالوا نتلو الفاتحة، طالبين من
رب الكعبة، كي يسكن ارواح كافة شهدائنا الابرار، فسيح الجنان ويتغمدهم بفانض الرحمة والحنان ويعطي اهلهم واهلنا
الصبر والعزاء والسلوان.

تعالوا يا اخوتي في الايمان وفي الوطن، تعالوا نذهب الى جنيف 2 كي نتسامح وننسى اخطاء الماضي ونمسك ايادي
بعضنا بعضا ونعيد بناء الوطن الحبيب ونغني سوية وبقلب مفعم بالود والمحبة :

سوريا يا حبيبتى، أعيدي لي كرامتي

كي تردّ سوريا علينا

كلكم روحي وحياتي وحبائبي وأبنائي الغاليين...

لوجانو في 20/12/2013

فؤاد عزيز قسيس

